مرقاة المفاتيح

للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ

شرح مشكاة المصابيح

للإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤١هـ

تحقيق
الشيخ جمال عيتاني

تنبيه:
وضعنا متن المشكاة في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفل منها نص «مرقاة المفاتيح» وألحقنا في آخر المجلد الحادي عشر كتاب «الإكمال في أسماء الرجال» وهو تراجم رجال المشكاة للعلامة التبريزي

الجزء الخامس

يحتوي على الكتب التالية
فضائل القرآن - الدعوات - المناسك

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

وفي رواية: «فلْيَنفُضْه بِصَنِفَةِ ثوبه ثلاثَ مرَّاتٍ، وإن أمسكتَ نفسي فاغفِرْ لها».

٢٣٨٥ . (٥) وعن البراءِ بن عازبٍ، قال: كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا أوى إلى فراشِهِ نامَ على شِقهِ الأيمنِ ثمَّ قال: «اللهمَّ أسلمتُ نفسي إليكَ، ووجَّهتُ وجهي إليكَ، وفوَّضتُ أمري إليكَ، وألجأتُ ظهري إليكَ رَغبةً ورهبةً

أي بطرفه وقال الطيبي [رحمه الله] أي بحاشية إزاره التي تلي الجسد فكأنه أراد الجمع بين الروايتين وإلا ففي مختصر النهاية صنفة إزاره بكسر النون طرفه مما يلي طرته قلت زاد الفارسي وقيل جانبه الذي لا هدب له. اهـ. وفي القاموس صنفة الثوب كفرحة [وصنفة] وصنفته بكسرهما حاشيته أي جانب كان أو جانبه الذي لا هدب له أو الذي فيه الهدب. اهـ. وفي المشارق فلينفضه بصنفة ثوبه بفتح الصاد وكسر النون فقيل طرفه وقيل حاشيته وقيل هي الناحية التي عليها الهدب وقيل الطرة والمراد هنا طرفه فما ذكره ابن حجر بفتح المهملة والنون والفاء مخالف لما في كتب اللغة والرواية (**ثلاث مرات**) مبالغة في النظافة (**وإن أمسكت نفسي فاغفر لها**) أي بدل قوله فارحمها.

٢٣٨٥ . (**وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقه**) بكسر الشين أي جانبه (**الأيمن ثم قال اللهم أسلمت**) أي أخلصت (**نفسي**) بسكون الياء وفتحها أي ذاتي (**إليك**) أي مائلة إلى حكمك (**ووجهت وجهي**) أي وجهتي وتوجهي وقصد قلبي (**إليك**) وجعلت وجهي إلى قبلتك وقيل النفس والوجه هنا بمعنى الذات يعني جعلت ذاتي طائعة لحكمك ومنقادة لك وقول الطيبي إن أسلمت إشارة إلى أن جوارحه منقادة لله تعالى في أوامره ونواهيه مستقيم غاية الاستقامة وأما اعتراض ابن حجر بأن المقام مقام نوم وهو لا تكليف فيه مدفوع بأن الطيبي رحمه الله لا يريد حين تحقق النوم كما لا يخفى على أحد بل مراده أما قبل النوم مطلقاً أو حين إرادة النوم وفيه إشارة لطيفة إلى أن الشخص ينبغي أن يتوب إلى الله تعالى ذلك الوقت لينام مطيعاً ويؤيد ما ذكرنا قول الطيبي في قوله عليه الصلاة والسلام (**وفوّضت أمري إليك**) فيه إشارة إلى أن أموره الخارجة والداخلة مفوّضة إليه لا مدبر لها غيره. اهـ. والمعنى توكلت في أمري كله عليك (**وألجأت**) أي أسندت (**ظهري إليك**) أي إلى حفظك لما علمت أنه لا سند يتقوّى به سواك ولا ينفع أحد إلا حماك قال الطيبي رحمه الله فيه إشارة إلى أنه بعد تفويض أموره التي هو مفتقر إليها وبها معاشه وعليها مدار أمره ملتجىء إليه بما يضره ويؤذيه من الأسباب الداخلة والخارجة (**رغبة ورهبة**) قيل مفعول لهما لا لجأت وقال الطيبي رحمه الله منصوبان على العلة بطريق اللف والنشر أي فوّضت أموري طمعاً في ثوابك وألجأت ظهري من المكاره إليك مخافة من عذابك. اهـ. وهو معنى صحيح بل صنعة بديع

حديث رقم ٢٣٨٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٤٦٢. حديث رقم ٧٤٨٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٨١ حديث رقم (٥٦ . ٢٧١٠). والترمذي في السنن ٥/ ١٣٥ حديث رقم ٣٤٥٤. وابن ماجه ٢/ ١٢٧٥ حديث رقم ٣٨٧٦. والدارمي ٢/ ٣٧٦ حديث رقم ٢٦٨٣. وأحمد في المسند ٤/ ٢٨٥.

إِليكَ، لا ملجأ ولا منجا منكَ إِلا إِليكَ، آمنتُ بكتابِك الذي أنزلتَ، ونبيّكَ الذي أرسلتَ». وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «من قالَهنَّ ثمَّ ماتَ تحتَ ليلتِهِ

وأبدع ابن حجر بالتعرض عليه بأن هذا تحكم والوجه بل الصواب ما ذكرته من أن كل ما ذكر معلل بالرغبة والرهبة. اهـ. والأظهر أن نصبهما على الحالية أي راغباً وراهباً أو الظرفية أي في حال الطمع والخوف يتنازع فيهما الأفعال المتقدمة كلها وقوله **(إليك)** أما متعلق برغبة وهي السعة في الإرادة ومتعلق رهبة محذوف أي منك وهي المخافة مع التحرز والاضطراب وأما بمحذوف تقديره متوجهاً بهما إليك قال العلامة الكرماني أي طمعاً في ثوابك وخوفاً من عقابك وإليك متعلق برغبة كقولهم:

* علفتها تبناً وماءً بارداً *

اهـ. وما يبعد أن يتنازعا في إليك أي رغبتي إليك وهو ظاهر ورهبتي إليك بمعنى أني حالة الخوف لا أرجع إلا إليك فإنه **(لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك)** ملجأ مهموز ومنجا مقصور وقد يهمز منجأ للازدواج وقد يعكس أيضاً لذلك والمعنى لا مهرب ولا ملاذ ولا مخلص من عقوبتك إلا إلى رحمتك وهذا معنى ما ورد أعوذ بك منك وقال الكرماني لا منجا مقصور وإعرابه كإعراب عصا فإن قلت فهو يقرأ بالتنوين أو بغيره قلت في هذا التركيب خمسة أوجه لأنه مثل لا حول ولا قوّة لا بالله والفرق بين نصبه وفتحه بالتنوين وعدمه وعند التنوين تسقط الألق قال ولا ملجأ ولا منجا إن كانا مصدرين يتنازعان في منك وإن كانا مكانين فلا إذ اسم المكان لا يعمل وتقديره لا ملجأ منك إلى أحد إلا إليك ولا منجا إلا إليك **(آمنت)** استئناف فيه معنى التعليل تعليل **(بكتابك الذي أنزلت)** أي عليّ وهو القرآن الكريم الحاث على التخلق بهذه الأخلاق البهية وسائر المقامات العلية والحالات السنية ولذا قال الطيبي آمنت بكتابك تخصيص بعد تعميم ولما غفل ابن حجر عن المعنى العام اعترض على الطيبي بقوله لا تعميم فيما ذكره لأن الفعل في حيز الإثبات لا عموم فيه كالنكرة التي هي كذلك فتأمل يظهر لك وجه الخلل **(ونبيك الذي أرسلت)** وفي نسخة بنبيك وإنما آمن بنفسه لأنه كان رسولاً حقاً فكان يجب عليه أن يصدق الله في ذلك وهو تعليم لأمته ولهذا كان يقول وأشهد أني رسول الله ولما تضمن الإيمان به ﷺ العلوم الخاصة المتعلقة بالأحاديث النبوية قال الطيبي تخصيص من التخصيص وأغرب ابن حجر بالاعتراض عليه لأنه لا يلائم ما قرره من الوجه الأوضح عنده وقال كما يعلم من تأمل ما قاله وما قلته قلت لو تأمل ما احتاج إلى الأمر بالتأمل فتأمل وعلى الله فتوكل **(وقال رسول الله ﷺ من قالهن)** أي الكلمات المذكورة **(ثم مات تحت ليلته)** أي تحت حادثة فيها ومن أعجب العجاب أن ابن حجر قال أي عقب طلوع فجرها وهو مع مخالفته نص الحديث الآتي فإن مت من ليلتك أو في ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبت خيراً اعترض على الطيبي في قوله ومعنى تحت ليلته أنه لم يتجاوز عنه إلى النهار لأن الليل يسلخ منه النهار فهو تحته أو يكون بمعنى إن مت تحت نازلة عليك من ليلتك أي من أجل ما يحدث من ليلتك بقوله وفي جميعه نظر وكون الليل يسلخ منه النهار لا يؤيد ما ذكره أوّلاً في معنى التحت كما هو واضح أو يكون الخ في غاية البعد والتكلف والأحسن عندي أن سبب التعبير

ماتَ على الفطرةِ».

وفي روايةٍ قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لرجلٍ: «يا فلانُ! إذا أويتَ إلى فراشِكَ فتوضَّأْ وُضوءَكَ للصلاة، ثمَّ اضطجعْ على شقِكَ الأيمنِ، ثمَّ قل: اللهمَّ أسلمتُ نفسي إليكَ، إلى قوله: أرسلت». وقال:

بالتحت أن الله جعل الليل لباساً فالناس مغمورون ومستورون تحته كالمستور تحت ثيابه ولباسه وهذا معنى واضح جداً فالعدول إلى ما ذكره الشارح من الأمرين السابقين عدول عن الجوهر إلى الصدف قلت هذا المعنى هو بعينه المعنى الذي ذكره الطيبي أوّلاً وهو معنى يسلخ منه النهار فالجلد هو المشبه باللباس فمؤدي معنى الآيتين واحد مع أن كلام ابن حجر آخراً يناقض تفسيره أوّلاً وكان سبب الاعتراضات عجبه وغروره بالفقهيات وجهله بدقائق الصناعات البديعية وعدم فهمه بحقائق الاعتبارات العربية ثم مع هذا كله قال في حق الطيبي وكان سبب وقوعه فيما علمت من المواضع التي رددتها عليه قوله أول شرح هذا الحديث أن فيه غرائب وعجائب لا يعرفها إلا الثقات من أهل البيان فكان ذلك وقع منه تبجحاً فلم يصب الجادة الواضحة في أكثر شرحه كما يعلم بتأمل ما ذكره وما ذكرته. اهـ. وبتأمل كلاميهما ظهر تفاوت ما بينهما كما بين السماء والأرض حيث ما بلغ فهم المتعقب وهم عقبة من تحقيق أربه وتدقيق أدبه لولا شرحه شرح الله صدره وفتح قبره لما فهم أحد من بعده ما قبله والفضل للمتقدم والأجر الكامل له وما وقع منه كان تحدثاً لا تصحيحاً وعلامة صدقه ما قدره الله ممن زين كلامه وبين مرامه راجياً أن يكون داخلاً في سلك من قال ﷺ في حقه «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» أخرجه أبو داود والحاكم والبيهقي كما ذكره شيخ مشايخنا الحافظ الجلال السيوطي في جامعه الصغير[1] هذا ولو تتبع شرح ابن حجر وتفحص منه العجر والبجر لم يبق له إلا فروع فقهية أو كلمات اعتراضية وليس من الإنصاف نسبة الحلويات إلى نفسه واسناد المريات على زعمه لأخيه بل لنفسه ومع هذا نرجو من الله أن لا يؤاخذه في رمسه[2] **(مات على الفطرة)** أي الإسلام **(وفي رواية قال)** أي البراء **(قال رسول الله ﷺ لرجل)** قال الطيبي هو أسيد بن حضير **(يا فلان إذا أويت)** أي قصدت المأوى **(إلى فراشك)** أي للنوم ولهذا قال أي إذا أردت أن تجعل فراشك مكان نومك **(فتوضأ)** أمر ندب **(وضوءك)** أي وضوءاً كاملاً مثل وضوئك **(للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن)** فإنه من السنن **(ثم قل اللهم أسلمت نفسي إليك إلى قوله أرسلت. وقال:)** أي النبي ﷺ. فيكون من جملة كلام البراء عطف على قال. رسول الله. أو قال البراء أيضاً، عن النبي ﷺ. فيكون عطفاً على قال، لكنه موهم للوقف وإن كان مثله[3] ما يقال من قبل الرأي. ويؤيد الرفع أن الخطاب للصحابي، وليس للصحابي أن يخاطب مثله بمثل قوله **(فإن مت)**

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١١٥ حديث رقم ١٨٤٥.

(٢) الرمس: الصوت الخفي. ورمس الشيء طمس أثره.

(٣) في المخطوطة «مثل».

«فإن مِتَّ من ليلتِك متَّ على الفطرةِ، وإن أصبحتَ أصبتَ خيراً». متفق عليه.

٢٣٨٦ . (٦) وعن أنس، أنَّ رسول اللَّهِ ﷺ كان إذا أوى إلى فراشِهِ قال: «الحمدُ للَّهِ الذي أطعمنَا، وسقانا، وكفانا، وآوانا،

بضم الميم وكسرها **(من ليلتك)** وفي نسخة في ليلتك[1] **(مت على الفطرة)** أي على التوحيد **(وإن أصبحت أصبت خيراً)** أي خيراً كثيراً أو خيراً في الدارين **(متفق عليه)** وقال ابن حجر: في بعض طرقه عن البراء، قال: قلت: ورسولك الذي أرسلت فقال ونبيك. وإنما رد عليه لأنه إذا قال ورسولك لم يبق يفيد قوله الذي أرسلت إلا محض[2] التأكيد وهذا معنى قول بعضهم لأن البيان صار مكرراً من غير إفادة زيادة في المعنى وذلك مما يأباه التبليغ. اهـ. ويمكن أن يحصل له فائدة مقدرة، بأن يقال الذي أرسلته إلينا، أو أرسلته إلى الخلق كافة، مع أن التأكيد يقع في كلام البلغاء كما في قوله تعالى: **﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه﴾** [الأنعام. ٣٨] **﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾** [النحل - ٢٦] وأما قوله ﷺ: «ما من صباح يصبح العباد فيه»[3] فليس من هذا القبيل. خلافاً لما وهمه ابن حجر. والأظهر والله أعلم في وجه الرد أن الأدعية الواردة لا تغير عن ألفاظها. وكذا الأحاديث وفي معناها التصانيف. وإنما جاز نقل الحديث بالمعنى إذا اضطر إليه بنسيان لفظه. فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله. وأما نقله بالمعنى مع حفظه لفظه فيخاف عليه أن يدخل تحت قوله ﷺ: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[4]. ولذا قال بعض المحققين: ولا بد أيضاً من مراعاة القواعد النحوية ومحافظة المخارج والصفات الحرفية. وقال الطيبي: النبي فعيل بمعنى فاعل للمبالغة من النبأ بمعنى الخبر، لأنه أنبأ عن الله. ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه النبي مشتق من النباوة وهي الشيء المرتفع ورد النبي ﷺ على البراء حين قال: ورسولك الذي أرسلت بما رد عليه ليختلف اللفظان، ويجتمع الثناء بين معنى الارتفاع والإرسال، ويكون تعديداً للنعمة في الحالين وتعظيماً للمنة على الوجهين. اهـ. وعلل النهي أيضاً بأنه كان نبياً قبل أن كان رسولاً. ثم رأيت أن النووي استحسن قول الماوردي وغيره. سبب النهي أن الاذكار تعبدية يقتصر فيها على اللفظ الوارد بحروفه، وبه يتعلق الجزاء. ولعله أوحى إليه ﷺ. بهذه الكلمات فتعين أداؤها كما هي. اهـ. فالحمد لله على التوارد في المحافظة على الوارد ورواه الأربعة. وفي رواية وليجعلهن آخر ما يتكلم به.

٢٣٨٦ . **(وعن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا)** أي دفع عنا شر المؤذيات، أو كفى مهماتنا وقضى حاجاتنا **(وآوانا)** قال النووي [رحمه الله]: إذا أوى إلى فراشه، وأويت مقصور وأما آوانا فممدود هذا هو الفصيح

---

(١) وهي نسخة المتن.

(٢) في المخطوطة «بمحض».

(٣) راجع الحديث رقم (٢٣٠٥).

(٤) متفق عليه.

حديث رقم ٢٣٨٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٨٥ حديث رقم (٦٤ . ٧١٥). وأبو داود في السنن ٣/ ٣١٢ حديث رقم ٥٠٥٣. والترمذي ٥/ ١٣٦ حديث رقم ٣٤٥٦.